الفنون

نشر تحت هذا العنوان ابتـداء من هذا العـدد مقالات فى تاريخ الفن العام وتراجم مصورة لعباقرته فى العصور المختلفة ، يحررها الدكتور أحمد موسى خريج جامعة برلين

بيتر باول روبنز
PETER PAUL RUBENS
الفنان الخالد
للدكتور أحمد موسى

إذا قيس قدر الفنان بعمله ، وفنه بحسن اختياره ، ومجده بتراثه ، فإنك تجد روبنز فى عصره إمام الفنانين ، وحجة العارفين ، لأنه الفنان الذى عاش لفنه ، وشعر بالجمال فيما حوله ، وبحث وراء المثل الأعلى فى كل ما صادفه . صور الجمال فأبدع ، والطبيعة فأحسن ، والحياة فأجاد . صور القصص التاريخية والدينية فأوضح ، والشخصية فعرف ؛ لا تجد فيما ترك مجالاً للنقد ، ولا بين ما اختار موضعاً للزلل

هذا هو روبنز الذى ولد فى مدينة سيجن سنة ١٥٧٧ ، وانتقل فى صحبة والديه وإخوته إلى كولونيا سنة ١٥٧٨ وبقى فيها إلى سن العاشرة ثم تركها إلى انتفرب سنة ١٥٨٨ . تمتع بقسط وافر من التربية الراقية التى لم تكن دائماً متوفرة لغيره من الفنانين ، ودان بكثير من درايته بالتاريخ العام والتاريخ الدينى إلى المدرسة الكاثوليكية بأنتفرب

شب روبنز مولعاً بمشاهد الطبيعة ، موهوبا حدة النظر ودقة الملاحظة ، له نظر سجل كل ما رآه ؛ انجذب نحو الجمال ، وتعطش الى الخلود ، وهام بالكمال المطلق

لم ير روبنز المثل الأعلى بين الموجودات ، ولكنه ظل فى خياله السامى ، فعبر عنه بجهد طاقته فى تراثه المجيد

استمد من الطبيعة مادة التعبير والتصوير ، فاستطاع إظهار ما انطوت عليه عبقريته وما جال بخاطره . كان من هذه الناحية عبداً للطبيعة ، ولكنه فاز فى النهاية بدرجة الوصول فكان سيدها ، لأنه استمد منها مادته ، ووصل بها إلى ما لم تصل هى اليه من تسام ، إن قدر لنا أن نتأمله ونفهمه ونتأثر به ، وصلنا نحن أيضاً بمشاعرنا إلى كمال الاستمتاع

كان أول معلميه للمناظر الطبيعية توبياس فيرهجت الذى وصل صيته إلى إيطاليا ، كما كان آدم فان نورت معلمه لتصوير الأجسام والمناظر الشخصية ؛ أما معلمه للفن والألوان فكان أوتو فان فين

لا حظ فيه معلموه نبوغا ظاهراً ، فكانت دروسهم له أشبه بتعاريف أولية لأصول سير العمل ، أما هو فقد نهج فى أقصر وقت منهجا سار عليه وعرفت روحه فيه ، وظل بعده مائة عام يؤثر فى الفن الفلامنكى تأثيراً عميقاً إلى أقصى حد

شاءت المقادير لروبنز أن يسافر إلى إيطاليا سنة ١٦٠٠ ، وشاءت المقادير أن يلحق بخدمة أحد أمرائها الذى كان من كبار عشاق الفنون الجميلة فى مدينة مانتوا ، فشاهد روبنز لدى الأمير حيناً وبوساطته حيناً آخر أحسن ما أخرجته قرائح الفنانين الايطاليين وغير الايطاليين

لم يكن لروبنز إلا الانتقاد والتأمل ، فكان فى حالة من البؤس النفسى شبيهة بحال الفيلسوف المتصوف ؛ لم يقنع بما رآه ، ولم ير شيئاً عده كاملاً ؛ ولذا فقد عمل مكملاً ، ووصل إلى ما صبت اليه نفسه ، تلك النفس التى تميزت من نفوس المجموع بدقة التأمل وبالدرس وبقوة الملاحظة وبالتغلغل فى كنه المرئيات ، وأخيراً بالقدرة اللانهائية على تفهم الجمال

وبقدر تفانيه فى التصوير كان عاشقاً لسماع الموسيقى ولعزفها ، كأنه يقول إن مصدر الفنون واحد ، وإن الفنان الكامل لابد له من دراية بالفنون الأخرى لزيادة الاستمتاع بما فى الحياة من

مكنونات لا يصل اليها إلاّ العارف

تراه أيضاً ألمّ بأصول الكيمياء لرغبته فى الوقوف على سر صناعة الألوان

سافر كثيرا ، وتأمل كثيرا ؛ لم يترك لحظة تمر دون النظر والدرس ، باحثاً عن الجمال أياً كان نوعه ، وحيثما كان وجوده . كان لرحلته الى أسبانيا تأثير فى نفسه لم يقل من أثر رحلته الى ايطاليا التى استطاع أن يعرف الفن القديم والفن المعاصر أثناء إقامته بها

وتدل كراسات روبنز ومذكراته الخاصة على أنه كان كثير التدوين والتسجيل والنقل والاقتباس ، لا للتقليد بل للالمام ، شأن العالم الجهبذ ؛ فتراه ينقل قدماً لتمثال استحاله ، وعيناً من صورة استهوته ، وذراعا ورأساً من أخرى ، فكان جباراً فى اختياره عنيفاً فى نقده

خلّق روبنز فنا قائما بذاته ومدرسة عرفت باسمه ، بعد أن شاهد الكثير من أعمال فنانى إيطاليا ، وتأثر الى حد بعيد بشيل انجلو وروفائيل وتيتسيان وكراتسى ، كما أن بعض لوحاته تمت بصلة الى چيليو رومانو الذى شاهد صوره عند ما أقام فى مانتوا

أشبع نفسه الفنية ، فعرج بعد عودته من إيطاليا على دراسة الألوان ودرسها درساً وافياً ، فكان له فى صوره لون أحمر قوى ، وظلّ أزرق رمادى عُرفا بعده باسمه

أقام فى بروكسل حيث تزوج من ايزابلا برانت سنة ١٦٠٩ وبنى بيتاً خاصاً لاقامته كان متحفا لآيات الفن ومدرسة لتلامذته ، أمثال فان دايك ، وفان تولدن ، وكورن ، وأراسموس كويلينيوس ، وجان فان دِن هوك ، وتوماس فان ايپرن ، وساللارت ، وفوتز ودِل مونت ، وولفوت

وكل هؤلاء كانوا خير معين له على إتمام أعماله ، فكان غالباً يضع التصميم والرسم التخطيطى ويترك لهم القيام بالتنفيذ تحت إشرافه ، كما أنه كان المخرج الأخير لكل صورة

على أن فان سيندر وباول دى فوس كانا قديرين الى حد أن سمح لهما بتصوير بعض الحيوانات فى مصوراته

أما لوكاس فان آدن وچان ويلدنز فكانا يصوران أجزاء على لوحاته الشاملة للمناظر الطبيعية ، كما كان چان بروجل يصور الزهور

ولا يُعدّ هذا نقصا فى مقدرة روبنز ولا تقصيرا منه ، لأنه كان فى ذلك أشبه بأستاذ يدير معهداً للأبحاث يساعده فيه تلامذته

والمجال لا يسمح هنا بوصف كل تراثه الخالد الذى بلغ ألفى قطعة من روائع الفن موزعة على متاحف العالم ، ولكنا نقتصر فقط على وصف ما جاء من صوره بهذا المقال

فالصورة الأولى (الخاطئون أمام المسيح) تمثل يسوع واقفا وحول رأسه هالة من نور ، أمامه امرأة خاطئة تقف منحنية بخشوع والدمع منهمر من عينيها تلتمس المغفرة عن الخطيئة ، وحولها ثلاثة رجال ظهرت على وجوههم علائم الندم والألم لما فرط منهم ، ولأنهم أمام رســـول الله الذى ينظر اليهم نظرة العطف والسمو

والصورة الثانية (إنزال الجسد من الصلب الى الأرض) تراها مجموعة رائعة من تسعة أشخاص لا تجد بينها واحدا خرج عن دائرة الاندماج وتكميل الشخصية الكاملة للصورة . انظر الى طريقة وقوف القديسات واشتراكهن فى حمله ، ولاحظ ما ارتسم على وجوههن من علائم الألم والحزن . أليس هذا الانشاء الكامل دليلا على قوة المعرفة بالقصص الدينية والعبقرية الفنية فى الاخراج ؟

وصورة ما دونا القديس إلديفونسو تمثل العذراء جالسة على

عرش وفوق رأسها ملائكة ثلاثة فى هيئة أطفال بأجنحة يحملون الأزهار ، وحولها وقفت أربع قديسات ينظرن إلى القديس إلدفونسو وهو راكع أمامها ، وهى فى مجموعها تبين إلى حدٍّ بعيد نبل الاخراج وقوة التعبير . وإذا تأملنا وجوه هذه القديسات وملابسهن رأها تعطينا فكرة صحيحة عن ناحية القوة البنائية فى إنشاء روبنز

أما الصورة الرابعة (حكم الراعى باريس) فهى توضح لنا إلى أى حد وصل علم روبنز بالتاريخ القديم وبالقصص الاغريقى ؛ فباريس هذا كان شاباً وديعاً يرعى الغنم ، صادفه فى طريقه ثلاثة آلهة هن هيرا وأثينا وأفروديت فى هيئة نسوة غاية فى الجمال ، وسألته أن يعطى التفاحة التى بيده إلى أجملهن منظراً : فأجاب باريس سائلاً ماذا يكون جزاؤه ؟

وعدته هيرا بأن تمنحه المُلك والغنى — وأثينا بمنحه الحكمة والشهرة — وأفروديت بأجمل النساء على الأرض إطلاقاً ! تريث باريس وأخيراً أعطى تفاحته إلى أفروديت (راجع إلياذة هومير ٢٤ : ٢٨)

انظر إلى باريس وهو يمثل التريث والحيرة فى الاختيار ؛ ثم انظر الى كل واحدة منهن ثم إليهن جميعاً ، فكل واحدة أبرع من الأخرى جمالاً ، ثم لا تلبث أن يستلفت نظرك ما فيها من قوة لا تزال إلى اليوم مطمح الفنانين

فكرّ قليلاً فى العصر الذى مثل فيه روبنز هذه القصة الاغريقية الخرافية ؛ أليس عجيباً أن يوفّق روبنز إلى هذا الحد الذى يدعو إلى الدهشة والاستغراب ؟ ألا تراه وُفّق كل التوفيق

فى تصوير هذه القصة الرائعة ؟ أعطى تفاصيل الجسم كل عنايته ، فكانت آية فى جمال التناسب وعظمة الانسجام . لا ترى للتكرار فيها أثراً . إن متحف مدريد يحسد حقاً على احتوائه هذه التحفة الفنية ، ولعل الحرب الداخلية لا تكون سبباً فى أن يتسرب التلف إليها كما تسرب إلى غيرها فى هذه الأيام بأسبانيا

وتعد لوحته الممثلة لاحد مواقف رواية أشيللوس تاتيوس فى القرن الخامس قبل المسيح والمسماة لوسيبوس وكليتو فون

من أروع وأبدع اللوحات

أنعم النظر إلى مظهر المرأتين المخطوفتين وإلى ما ظهر عليهما من علائم الوجل والتوسل ، وكيف استطاع روبنز أن ينفث فيها من روحه وعبقريته ، وتأمل كيف ينظر الحصانان إلى هذا الموقف الخطير كما لو كانا يتحفزان للحرب ، ثم إلى قوة عضلات الرجلين الخاطفين

إن مجلداً ضخماً لا يكفى للكتابة عن روبنز الخالد ، ولكننا مع هذا استطعنا أن نعرف بعض ما سجله تاريخ الفن له

دكتور أحمد موسى

مصر الاسلامية

بقلم الاستاذ محمد عبد الله عنان

فيه تاريخ مفصل لمصر القاهرة وتطوراتها فى عصور السلاجقة والمماليك و استعراض وافٍ لتاريخ الخطط المصرية ، وبحوث شائقة أخرى عن مصر الاسلامية ومجتمعاتها ، فى نحو مائتى صفحة كبيرة طبع دار الكتب

ثمنه ١٥ قرشاً ويباع بـ ١٠ قروش بخصم ٣٣ ٪

عدا البريد وهو ثلاثة قروش لداخل القطر وخمسة لخارجه . ويطلب من مجلة الرسالة ولجنة التأليف والترجمة وجميع المكاتب

اعترافات فتى العصر

لألفريد دى موسيه

يتقدم الى العربية الأستاذ :

فليكس فارس

وينشر تباعاً فى مجلة :

الرواية

ابتداء من عددها الأول الذى يصدر فى ١٥ يناير سنة ١٩٣٧